

لشيخ الإسلام ابن تيمية

٦٦١ - ٧٢٨هـ

حققه وخرج أحاديثه

عبد القادر الأرناؤوط





مكتبة دار البيان

بيروت ـ دمشق

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



إن الحمد لله نحمده ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد ، فهذا كتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، نقدمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التقرب إلى الله عز وجل بطاعته والعمل بما يرضيه .

وهو كتاب حفظه لنا ابن عروة الحنبلي الصالحي علي بن حسين أبو الحسن في كتابه الكبير « الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على أبواب البخاري » وقد توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ٨٣٧ هـ ، وكتابه هذا من الكتب المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق الشام المحروسة ، وقد استُخرج منه عدة كتب من مؤلفات شيخ الإسلام ، منها كتابنا هذا . ولو لم يدرجه في هذا الكتاب لضاع مع ما ضاع من مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

وكان الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى - وهو من كبار علماء الشام المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ قد نسخ هذا الكتاب من « الكواكب الدراري » وأرسله إلى الشيخ محمد رشيد رضا - صاحب مجلة المنار بمصر ، أصله من الشام ، رحل إلى مصر وتوفي بها سنة ١٣٥٤ هـ ، وهو أحد تلامذة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ - فنشره في مصر الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ، ثم طبع بعد ذلك عدة مرات بمصر وغيرها .

هذا وقد رغبنا بطبعه بعد أن أصبحت نسخة نادرة ، لكي يعلم الناس حقيقة التوسل والوسيلة ، قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ [المائدة : ٣٥] قال أئمة التفسير : أي تقربوا إلى الله تعالى بطاعته والعمل بما يرضيه ، فإن الوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود .

وتطلق الوسيلة ويراد بها أيضاً المنزلة العالية ، وقد روى البخاري في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » يريد بذلك : من فرغ من سماع نداء المؤذن وإجابته فليسأل الله تعالى الوسيلة لرسول الله ﷺ ، وهي الدرجة العالية ، وقد بينها رسول الله ﷺ بوضوح في حديثه الذي رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

وأما التوسل بالأشخاص فلم يكن من عادة السلف الصالح رضوان الله عليهم بما فيهم الأئمة الأربعة ـ أصحاب المذاهب المشهورة ـ ، وإنما على المؤمن أن يتوسل إلى الله عز وجل بأسمائه الحسنى ويدعوه بها ، قال الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ أي قولوا : يا الله ، يا رحمن ، « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » ، وغير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، كقولك : اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ ، فإن الحب من صفاته العلى ، وكقول سليمان عليه السلام ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النحل : ١٩] . وكذلك دعاؤه سبحانه باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب .

وقد علمنا رسول الله ﷺ أن ندعو بمثل قوله : « اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضائك ، أسألك

بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي . . . » وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ، وابن حبان في « صحيحه » من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فينبغي على المسلم أن يدعو الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وأن يتوسل إليه سبحانه بالأعمال الصالحة التي ترضيه ، وكذلك يتوسل بدعاء الرجل الصالح ، ولا تكون الأعمال الصالحة مقبولة عند الله عز وجل ، ما لم تكن صواباً على شريعة رسول الله ﷺ ، وخالصة لوجه الله الكريم ، قال الله تعالى . ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [الكهف : ١١٠] .

عملنا في الكتاب

لقد قمنا بتصحيح النص ، وضبطه ، وشكل آياته ، وترقيمها ، وتخريج أحاديثه بالرجوع إلى المصادر التي نقل عنها المؤلف رحمه الله ، وبيان صحيحها من ضعيفها ، وجعلنا للأحاديث أرقاماً متسلسلة بحيث يرجع القارىء إلى الحديث إذا تكرر في موطنه ، تسهيلاً للقارىء الكريم .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتقرب إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق السبت ١٧ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ .
الموافق ١ كانون الثاني ١٩٨٣ م

خادم السنة النبوية
عبد القادر الأرناؤوط

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية

هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث ، ناصر السنة وقامع البدعة، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي .

إنه سليل أسرة كريمة، اشتغل أبناؤ ها بالعلم حتى عرفوا به، وبرزوا فيه .

فأبوه عبد الحليم بن عبد السلام، شهاب الدين نزيل دمشق، ولد بحرَّان[1] سنة (٦٢٧) هـ ، وسمع من أبيه عبد السلام وكثيرين غيره . قرأ المذهب الحنبلي على أبيه حتى أتقنه ، ودرَّس وأفتى وصنف . وكان إماماً محققاً، كثير الفنون، دَيِّناً متواضعاً، حسن الأخلاق ، كما كان جواداً من حسنات العصر، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة (٦٨٢) هـ .

وأما جده عبد السلام بن عبد الله الفقيه الحنبلي، الإمام المحدث المفسر الأصولي النحوي ، وأحد الحفاظ الأعلام المشهورين، وقد ألين له الفقه كما ألين لداود الحديد، وهو صاحب كتاب« منتقى الأخبار» الذي شرحه الشوكاني إمام القطر

---

(١) حَرَّان : بلدة شمال شرقي تركيا، كانت من أهم مراكز الديانات القديمة، وهي الآن عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل ابن تيمية عنها، وهي غير «حرّان العواميد» التي في غوطة دمشق الشرقية ، وكانت تسمى «حران المرج». ومن قال: ان شيخ الإسلام ابن تيمية من حران العواميد، فقد أخطأ ، والنسبة إلى حران : حرناني، وإنما اشتهر بالحراني .

اليمـاني، وسماه «نيـل الأوطار شـرح منتقى الأخبـار» . ولـد بحـران سنـة (٥٩٠) هـ تقريباً ، ورحل إلى بغداد، وأقام بها عدة سنوات، يشتغل بأنواع العلوم، ثم رجع إلى حرّان ، وتوفي بها سنة (٦٥٢) هـ .

وإذا تركنا أبـاه وجده نجـد آخرين كثيـرين مشهورين من أعضـاء هذه الأسـرة الكـريمة المشهـورة بالعلم والعلماء، وصـدق الله عز وجـل إذ يقـول في كتـابـه الكـريم ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

وإنما سمي كل من هؤلاء العلماء في هذه الأسرة : ابن تيمية، لأن جدهم محمد ابن الخضرحج على درب «تيماء»، فـرأى فيها طفلة جميلة ، فلما رجـع إلى دمشق وجد امـرأته قـد ولدت بنتـاً : فقال: يـا تيمية، يـا تيمية ، تشبيهـاً لبنته بهـا، فأطلق عـلى أبنـائها : ابن تيميـة . وقيل : إن جـده محمد بن الخضـر، كانت أمـه تسمى تيميـة، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها .

وأشهر أبناء ابن تيمية: هو صاحب الترجمة الحفيد: شيـخ الإسلام تقي الـدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ولد بحرّان يوم الاثنين في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١) هـ ، وأنبته الله نباتاً حسناً، فعـاش بضع سنـين في كنف أبيه وتحت رعايته، ثم انتقل أبوه به وبأسرته إلى دمشق سنة (٦٦٧) هـ عند قدوم التتار إلى الشام، وكان قد بلغ السادسة من عمره .

وفي دمشق الشام المحروسة نشأ أحمد بن تيمية وترعرع ، ثم درس ونضـج حتى بلغ أشده، وآتاه الله تعـالى العلم والحكمة، وصـار أحد الأئمـة الأعلام ، ومن كبـار شيوخ الإسلام ، الذين خلدوا على الزمن بفضل ما قاموا به من جلائل الأعمال، وما خلفوه لنا من عظيم الآثار .

ولا عجب أن ينبـغ الفتى ابن تيمية، فقـد وفـر الله العليم الحكيم لـه عـوامـل النبوغ ومؤهلاته: وراثة طيبة، عميقة الجذور، بعيدة الأصول، سامقة الفروع، وبيئة علمية أوفت على الغاية، وقوى علمية بلغت حد العجب والإعجاب، وتوفيق من الله

تعالى، وبركة في الوقت، حتى صار فريد عصره ، ووحيد دهره، وإمام زمانه .

حفظ القرآن وهو حدث، ثم أخذ في الدرس وطلب العلم، وأقبل على الفقه والعربية، وبرع في النحو، ثم أقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنين، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه .

ونشأ في زهد تام وعفاف وتعبُّد، واقتصاد في الملبس والمأكل ، أفتى وله أقل من تسع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف .

وكان له خبرة تامة بالرجال رواة الحديث وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتون الحديث، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وعزوه إلى الكتب الستة في الحديث ، ومسند أحمد بن حنبل .

وله في استحضار الآيات القرآنية للاستدلال بها قوة عجيبة. وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير والفقه وأصول الدين نحواً من أربعة كراريس .

شيوخه :

سمع الحديث من ابن الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيبان، والشرف ابن القواس، وخلق كثير، وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ .

تلاميذه :

لقد تلقى عن المؤلف رحمه الله تعالى كثير من العلماء المشهورين المشهود لهم

بالفضل، منهم من هو أكبر منه سناً، ومنهم من هو أقرانه، ومنهم من هو أصغر منه سناً .

وممن لازمه وأخذ عنه الإمام شمس الدين أو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المشهور بـ «ابن قيم الجوزية» صاحب المؤلفات المفيدة، وقد لازمه ملازمة تامة، وقد توفي رحمه الله سنة (٧٥١) هـ ودفن بالباب الصغير بدمشق .

ومنهم الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي الصالحي، وقد لازمه مدة، وله مؤلفات نافعة، توفي في سن الأربعين رحمه الله سنة (٧٤٤) هـ ، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق، وهو صاحب« العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية» .

ومنهم الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار الأزجي الحنبلي البغدادي، صاحب كتاب« الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية » . ولد ببغداد، ثم رحل إلى دمشق، فقرأ على علمائها، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي رحمه الله عند توجهه إلى الحج، يوم الثلاثاء ٢١ من ذي القعدة سنة (٧٤٩) هـ في حاجر بالطاعون العام الذي أفنى الكثير من الناس .

وممن سمع منه وأجازه الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي ، له المؤلفات المفيدة، والمختصرات الحسنة، والمصنفات السديدة، منها «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة (٧٤٨) هـ ودفن بالباب الصغير بدمشق .

والحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري ، قرأ على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ومدرك غاية المفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني بالقاهرة، عندما قدم عليهم، وقد توفي رحمه الله بالقاهرة سنة (٧٣٤) هـ .

والحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي، أحد محدثي الشام الكبار، المتوفى بـ «خليص» بين الحرمين ، محرماً في طريقه الى الحج سنة (٧٣٩) هـ .

والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي ، استاذ أئمة الجرح والتعديل، شيخ المحدثين، صاحب كتاب« تهذيب الكمال في أسماء الرجال» توفي رحمه الله سنة (٧٤٢) هـ ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر شيخ الاسلام ابن تيمية .

أقوال العلماء فيه :

قال كمال الدين ابن الزملكاني المتوفى سنة (٧٢٧) هـ : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء في سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك . وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقال الحافظ المزي المتوفي سنة (٧٤٢) هـ : ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري المتوفى سنة (٦٧١)هـ : ألفيت شيخ الإسلام ابن تيمية ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته . برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويروون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير .

وقال الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة (٧٣٨) هـ : هو الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه ، قرأ الفقه وبرع فيه ، والعربية والأصول، ومهر

في علمي التفسير والحديث ، وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه ، وحسن ايراده ، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى .

وقال الحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) هـ : كان شيخ الإسلام آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاءً ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقل أن يتكلم في مسألة إلّا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج بالكتاب والسنة ١٠ هـ .

وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجىً في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدِّره الدلاء، وحَبْراً يقتدي به الأخيار الألبَّاء، طنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّتْ بمثله الأعصار .

وكان إماماً من أئمة المسلمين، ومجدداً في عصره لهذا الدين، أمثال العز بن عبد السلام المتوفى سنة (٦٦٠) هـ والإمام النووي المتوفى سنة (٦٧٦) هـ . وكانت لهم مهابة ومواقف مشهودة رحمهم الله تعالى .

عقيدته ومذهبه :

هي عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين لهم بإحسان، وهي العقيدة السليمة والطريقة المستقيمة، التي ينبغي على كل مسلم أن يسلك سبيلها ، وأن يسير على منهاجها، وهي أسلم وأحكم بلا شك ولا ريب، وهي العقيدة، التي كان عليها إمام مذهبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ومذهبه في صفات الله عز وجل الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه،

وبما وصفه به رسوله، وإجراؤ ها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فمتى ورد النص في الكتاب والسنة الصحيحة باثبات صفة أو نفيها، فلا يجوز لأحد العدول عنه إلى قياس أو رأي . والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي فيه حذوه ، ويتبع مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف .

وكان رحمه الله تعالى يرى بطلان التحيل على الأحكام الثابتة شرعاً إلى أحكام أخر بفعل صحيح في الظاهر لغو في الباطن ، كما هو مذهب جمهور الأئمة، وقد ردَّ على حجج من جوَّزها ، واستند في ذلك إلى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والأئمة .

دعوته :

كانت دعوته إلى الأخذ بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة. والاعتصام بهما، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح، وطرح ما يخالفهما، وتجديد ما درس من معالم الدين الصحيح، وتنقيته مما ابتدعه الناس من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة، قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى، وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر الاسلامي من خرافات التصوف، ومنطق اليونان، وزهد الهند .

اختياراته الفقهية :

إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد رجوعه من مصر إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة ، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية .

ومن اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة،أو خالف المشهور من أقوالهم:

١ ـ القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً ، طويلاً كان أو قصيراً ، كما

هو مذهب الظاهرية ، وقول بعض الصحابة .

٢ ـ القول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل ، فبان نهاراً ، لا قضاء عليه ، كما ورد عن عمر رضي الله عنه ، وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

٣ ـ القول بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه ، ولا يشرع له القضاء ، بل عليه الإكثار من النوافل رجاءَ غفران الله تعالى له ، كما هو مذهب ابن حزم الأندلسي من أهل الظاهر .

٤ ـ ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق المعلَّق على شرط إذا كان لا يقصد بذلك إلا الحض أو المنع . وقوله : إن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة ، كما كان عليه العمل في زمن رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما .

وله في ذلك مصنفات كثيرة ، وله اختيارات غيرها .

شجاعته وإقدامه :

أما شجاعته فبها تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه أكابر الرجال ، وكان الأمراء يتعجبون من إقدامه وجرأته على المغول ، وما فعله الشيخ في توبة غازان ملك التتار من جميع أنواع الجهاد ، وسائر أنواع الخير ، وإنفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، ودفن الموتى ، وغير ذلك ، معروف ومشهور .

وفي سنة (٧٠٢) هـ كانت وقعة «شقحب» قرب الكسوة من جنوب دمشق التي خاضها بنفسه ، وشجَّع المسلمين فيها ، وقاتل هو وجماعة من أصحابه ، وانتهت بنصر الله المسلمين نصراً مؤزَّراً . وقتل فيها من التتار خلق كثير ، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

مصنفاته :

له رحمه الله تعالى نحو (٥٠٠) مصنف ، ما بين كبير وصغير ، منها «الفرقان بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» و«الفرقان بين الحق والباطل» و«اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» و«التوسل والوسيلة» و«تفسير سورة النور» و«السياسة الشرعية» و«الكلم الطيب» و«تفسير سورة الاخلاص» و«جواب أهل العلم والإيمان» و«شرح حديث أبي ذر» و«الحسبة في الاسلام» و«العبودية» و«الواسطة بين الحق والخلق»(*) و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام» و«الوصية الصغرى» و«الوصية الكبرى» و«الفتاوى» و«كتاب الإيمان» و«شرح حديث النزول» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» و«الرسالة التدمرية» و«العقيدة الواسطية» و«شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» و«منهاج السنة النبوية» و«كتاب الاستقامة» و « الرد على المنطقيين» وغيرها .

وله وصايا ورسائل كثيرة واجازات .

هذا وقد طبع كتاب« مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض بـ (٣٧) مجلداً جمعوا فيه فتاوى الشيخ وما استطاعوا من مؤلفاته التي كانت مفقودة، وقد استخرجوا اكثرها من كتاب «الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري» لابن عروة الحنبلي رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٨٣٧).

لقد حصلت له محن كثيرة في بلاد الشام ومصر، لأنه رحمه الله تعالى كان شديد الإنكار على المخالفات، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وهذه الأسباب هي التي جلبت له خصومات كثيرة من معاصريه، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله منها، على أن خصومه لم يتركوه هادئاً، واستعدوا عليه ذوي السلطان متخذين عقيدته والطعن فيها لذلك سبباً يتذرّعون به للنيل منه .

ففي سنة (٧٠٥) هـ امتحن بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان، فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من

(*) وقد خرجت أحاديث هذه الكتب وعلقت عليها. وهي من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق، وأرجو الله عز وجل أن يوفقني لتخريج باقيها .

داره «العقيدة الواسطية» فقرؤوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك، على أن هذه عقيدة سنية سلفية .

وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار الكبار، وسائر العامة تحبه ، لأنه كان منتصباً لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه .

ثم قامت طائفة ـ من الذين كانوا يموِّهون على الناس بما يزعمون من كرامات، وأنهم يدخلون النار ولا تمسهم بأذى وطلبت هذه الطائفة من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف عنهم وأن يتركهم وحالهم، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: لا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد أن يدخل النار منهم فليدخل أولاً الحمام ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل النار بعد ذلك إن كان صادقاً، فابتدر شيخ منهم وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتار، وليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد .

ثم ورد كتاب إلى دمشق من السلطان بحمل ابن تيمية إلى القاهرة للكشف عما كان منه. فلما قرر السفر إلى مصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته، ولما وصل إلى القاهرة، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة، جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة، وأراد الشيخ أن يتكلم، فلم يمكَّن من البحث والكلام على عادته، وحبس في برج أياماً، ثم نقل إلى الحبس المعروف بـ «الجب» هو وأخواه : شرف الدين وزين الدين .

وفي سنة سبع وسبعمائة أخرجه من السجن الأمير حسام الدين مهنا، واجتمع به العلماء عدة مرات، وبحثوا معه، وانفض المجلس على خير، ثم إنه اختلف مع بعض المبتدعة، فطلبوا نقله إلى الاسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عريَّة، وأرادوا أن يبعد عنهم خبره ، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره، فأرسل به إلى ثغر الاسكندرية، وسجن فيه إلى أن دخل السلطان الناصر مصر، فأخرج الشيخ من سجنه، واجتمع بالسلطان ، وأكرمه ـ وكان سجنه في مدة ملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ـ فأراد السلطان الناصر أن ينتقم من الذين شنعوا على ابن تيمية ،

فأخذ الشيخ ابن تيمية يمدحهم ويثني عليهم، ويشكرهم ويقول للسلطان: لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وقال: أما أنا فهم في حِلٍّ من حقي وجهتي، وسكن ما عند السلطان من الغضب، ولقد قال القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية، لم نترك ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا.

ثم إن الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد اجتماعه بالسلطان الملك الناصر نزل إلى القاهرة، وعاد الى بث العلم ونشره، والخلق يستمعون منه ويقرؤ ون ويترددون عليه، ويعتذرون إليه، وهو يقول لهم: قد جعلت الكل في حِلٍّ مما جرى.

ثم في مصر قام جماعة فتعصبوا على الشيخ، وتفردوا به، وضربوه، وطلب منه الجند أن يدلهم عليهم ليعاقبوهم، فجعلهم في حل وسامحهم. وآذاه غيرهم، وأساؤ وا معه الأدب، وهو في كل ذلك يقول: لا أريد أن أنتصر لنفسي، وإنما أنتصر لشرع الله عز وجل.

ثم إنه توجه بعد ذلك إلى الشام صحبة الجيش المصري قاصداً الغُزاة، فلما وصل إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ومنه إلى دمشق، ووصل إلى دمشق سنة (٧١٢) هـ، ومعه اخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسرّوا سروراً عظيماً بمقدمه وسلامته وعافيته، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع، وقد توفي في أثناء غيبته عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم.

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد وصوله من مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة ونفع الخلق والإحسان إليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية فعاوده في الإفتاء بمسألة الطلاق وعاتبوه وحبسوه في قلعة دمشق، وبقي خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم صدر مرسوم السلطان بإخراجه، فأخرج سنة (٧٢١) هـ، ثم لم يزل يعلم الناس ويفتيهم إلى أن تكلم في مسألة شد الرحال وزيارة قبور الصالحين، وحرَّفوا عليه ونقلوا عنه ما لم يقل، واجتمعوا عليه وقرروا أن يردُّوه مرة أخرى إلى القلعة فحبسوه بها، وأوذي

جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزِّز جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا سوى تلميذه الملازم له ابن قيم الجوزية، فإنه حبس بالقلعة وسكنت القضية .

ثم انهم حركوا على الشيخ بأنه يفتي بعدم شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وكثر الكلام وعظمت الفتنة، وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فسجن سنة ست وعشرين وسبعمائة .

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى. وفي هذه المدة كان يكتب العلم ويصنف، ويرسل الرسائل إلى أصحابه، ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، وكان يقول: فتح الله عليَّ في هذا الحصن من معاني القرآن ومن أصول العلم أشياء، وندمت على تضييع أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق ، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة وذكر الله عز وجل .

وكان يقول: أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة .

وكان يقول في الحبس وهو ساجد: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ويقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه .

وكان يقرأ في كل يوم ثلاثة أجزاء من القرآن، وفي كل عشرة أيام يقرأ ختمة، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو أحداً وثمانين ختمة .

ثم مرض أياماً في القلعة، وكانت مدة مرضه بضعاً وعشرين يوماً، وأكثر الناس ما علموا بمرضه ، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن .

وكان آخر ما قرأ من القرآن: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ ـ ٥٥] ، وكان ذلك ليلة الاثنين في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨) هـ رحمه الله تعالى .

ودخل أقاربه وأصحابه القلعة، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وغسلت جنازته، ثم أخرج وقد اجتمع الناس في القلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد، وبقية أبواب المسجد، وحضرت الجنازة، وصلي عليه بالقلعة، ثم صلي عليه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد إلى مقبرة الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه شرف الدين، وكان دفنه وقت صلاة العصر أو قبلها بيسير، وأغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

رحم الله تعالى ابن تيمية رحمة واسعة، وأجزل ثوابه، جزاء ما قدَّم للدين والعلم والأمة من خير، وجعله الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

خادم السنّة النبوية

عبد القادر الأرناؤوط